فيروز في عيد ميلادها الثمانين... محارة الشعر ووطن النّجوم

26 - نوفمبر - 2015



كم فيروز نحتاج لنعيد للشعر رونقه وللأغنية ألقها وللموسيقى انسيابها؟

في زمن يعيش فيه الغناء تراجعا، والشعر خفوتا والموسيقى فوضى، قطفت فيروز من حدائق الشعر أشهاها، وقدمتها للمتلقي إكسيرا مميّزا، عابقا بالأصالة والحداثة والصوت الجميل.

رفعت «جارة القمر» الإنسان إلى مستوى الشّعر، وسحر الكلمة ومذاقها، وجعلت للشعر حضورا وانجذابا، وجعلت من حنجرتها لمبدعي لبنان والوطن العربيّ نخاريب نحل تسيل شهدا. برهن صوت فيروز الخلّاب، أنّ الأذن أكثر من العين، تذوّقا وتفاعلا مع الشّعر. ألم يقل بشّار بن برد من قبل، «والأذن تعشق قبل العين أحيانا ».

نجح صوت فيروز في اكتشاف «جينات» الشعر عند الإنسان، فحفظ كلمات أغنياتها وردّدها.

في أيامنا، في زمن الفيسبوك والقطيعة شبه الأبدية بين القارئ العربيّ والكتاب، كم ساعة نحتاج إلى تحبيب قارئ أو متلقّ قصيدة شعر؟ وكم معرض كتاب نحتاج لنقنع شخصا واحدا بـ «شراء» كتاب؟ وكم شهرا

نحتاج لإقناعه بالقراءة المستحيلة ولو لقصيدة. لقد هزمت نظريات النقد والتوصيل والتلقّي، أمام صوت فيروز «كنارة لبنان» في ترويض المستمع، وتسريب الشعر والموسيقى إلى شرايينه وحناياه ونخاعه.

إنّ الشعر العربيّ مدين للسيدة فيروز، التي جعلت القصيدة صوتا جميلا، والشعر قوس قزح وطفلة تركض وراء «طيّارة يا طيّارة يا ورق وخيطان». لقد اختزلت فيروز، بصوتها الرنّان المسافات الضوئية، بين عنترة بن شداد والصمة القشيريّ وجرير وأبي نواس وجيل الفيسبوك، كما قرّب صوتها الغربة بين المفردات القديمة والمتلقي في أيامنا. صنعت فيروز بصوتها وأدائها الرفيع، جسرا بين الشعر والمتلقّي، بعيدا عن نظريات التوصيل في الفن والأدب، وحفرت في القلوب منازل لأغانيها.

إنّ الست فيروز، هي الأجدر بـ»جائزة الشعر» العربيّ، وصوتها العذب يحمل الشعر في أرجاء المعمورة، ويسكبه في الآذان والقلوب، مثل حبات مطر من ديمة سمحة. على كلّ شاعر، في هذا الزمن الكئيب، يرغب في إيصال صوته وكلماته أن يبحث عن «فيروز» أصيلة ومبدعة، تجعل من ورقة التوت حريرا، وإلّا سيبقى الشعر مثل أصحابه، يعيش غربة وهزائم تلو هزائم. غنّت فيروز روائع الشّعر، وعرار الكلمات المسكونة بالحب والجمال والحنين والأرض والوطن، والذكريات والشجاعة والكبرياء والشموخ، والنزعة الإنسانية الصادقة. كرّست بالمحبة والسلم في زمن الحرب والاقتتال المجانيّ، هادلة بروائع «الأخوين رحباني»، اللذين غنّت من كلماتهما حصّة الأسد: « القمر بيضوي عالناس والناس بيتقاتلو عمزارع الأرض الناس عحجار بيتقاتلو.. نحنا ما عنا حجر لا مزارع ولا شجر أنت وأنا يا حبيبي بيكفينا ضو القمر».

في أسفار فيروز، قصائد ومذاهب أدبيّة متنوّعة، وموضوعات شتى، وموسيقى قزحية، تعجز المناهج المدرسية، والسيلبوسات الجامعية الإحاطة بها.... فيروز مدرسة، وحنجرتها حاضنة بامتياز، للشعر الجميل الراقيّ.

في صوت فيروز رسالة الشعر العربيّ الجميل المموسق.

في صوت فيروز عنادل وأزاهير وأرز شامخ وعبهر وسنان وكنارات وحجلان.

في موسيقى فيروز الإرث الرحبانيّ الكبير.. والسبّاق في اللحن والتوزيع، وصياغة الكلمة المحكية العميقة، العابقة بنورج لبنان، وبيدره وتراثه الأصيل.

في صوت فيروز، الطفل والمغارة والقدس العتيقة، لبنان وجبران ورائعته النبيّ، ومصر وشمسها الذهب، والإسكندرية والشام، ووطن النجوم وجارة الوادي، وضفاف بردى وجبل الريان، وأجراس العودة ويارا وشقيق الروح، وناي جبران والمحبة، وجلّنار وحامل الهوى، وألف ليلة وليلة، وأهلا وسهلا و...لبننة العالم.

عطّرت فيروز مزهريتها، بباقة قصائد فوّاحة، قطفتها من بساتين عنترة بن شدّد، ولسان الدين بن الخطيب، والصمة القشيريّ، وأبي بكر بن زهر، وابن سناء الملك، وجرير، وابن جبير، وأبي نوّاس، وإيليا أبي ماضي، وبشارة الخوري، وجبران خليل جبران، وأحمد شوقي، ورشدي المعلوف، ورشيد نخلة، وسعيد عقل، ورفيق خوري، وميخائيل نعيمة وميشال طراد، ونزار قباني، وهارون هاشم رشيد، والأخوين رحباني وغيرهم....

ما أحوجنا إلى فيروز، وإلى صوتها الهادل بالمحبّة والصّلاة، في زمن التغريبات، والكوابيس والأشباح، والأقمار والأوطان الهاربة.

ما أحوجنا إلى صوتها، في زمن استبدل فيه الإنسان العربيّ «صباح الخير « بـ«ردّني إلى بلادي» أو «شلح زنبق أنا إكسرني على ثرى بلادي». وما أحوجنا إليها في زمن غاب فيه النهار، وأصبحت التحيّة

والهويّة هذه « الفيروزة « الحزينة:

«ودّعني طيرٌ وقال

إلى بلادي أمضي

ذكّرني بطردي

وكبر السؤالْ

غاب نهار آخر... نهار آخر»

بنت فيروز من حروف أغانيها ونحتت من «نوتات» موسيقاها، بيوتا

وأوطانا للمشرّدين والمغتربين، فقد سكنوا أغانيها، قبل أن تسكن الأغاني فيهم. رسمت فيروز الخريطة الأجمل للوطن، وغنّت الأوطان قبل أن تغترب وتهاجر الأوطان عن أهاليها، وقبل أن يعيش الإنسان العربيّ محنة « خلت من أهلها الدار». صوت فيروز هو عصر ذهبيّ للأغنية، وزمن مضيء من الشعر، وتنويع قزحيّ من اللحن والموسيقى. سيسطّر الفنّ والتاريخ «العصر الفيروزيّ» و»الفيروزيات» ، على غرار «الموشّحات»، للونها وطابعها وحصادها المميّز، ففي بيادرها غلال وفيرة، وقمح أصيل نظيف خال من الزؤان والغبار. صوت فيروز حبة أسبرين ومتنفّس للإنسان العربيّ، في هذا الزمن الغرائبيّ الكافكاوي بامتياز. أغاني فيروز رحيق منثور، يتضوّع في القلب والعقل. قال فيها الشاعر الراحل أنسي الحاجّ، الذي كان مهووسا بصوتها: «غناء فيروز لا يتشنّج، لا يعلو صراخها. قد يضطرّها دورٌ مسرحيّ إلى الصراخ لكنّ غناءها لا يعرض عضلات. أغلبه هَمْس. بوحٌ من حنجرةٍ إلى وجدان. دفءٌ غامر بلا لَهَب التظاهر.

هو لَهَبُ السكوت.

صوتُ ماسٍ مائيّ.

مَن يَحمل مَن على جناحه، الصوت أم اللحن؟ أحياناً يتبادلان الخدمة، ولكن الصوت مُفْرد وهو محاطٌ بأجمل الألحان. الحقّ أن هذا كان يبحث عن ذاك. إيقاعُ عاصي الرحباني هو الشقيق التوأم لإيقاع فيروز. فيروز الهادئة هادئة على غَلَيان إيقاعيّ لا يتوقّف. تحت جليد الهدوء عروسٌ ترقص في الغابة».

أغاني فيروز أيقونة وشهادة شرف، للفنّ الرفيع وللإبداع، وصوتها بلسم ومرهم وشهد، في زمن مرّ وعلقم.. سيبقى صوتها هادرا مثل شلال، وستبقى منزلتها في قلوب وعيون عشّاقها، بمنزلة الوطن الذي يسرق حب أبنائه، وهي مرايا وتجسيد لصوت إيليا أبي ماضي في إحدى روائعها:

زَعَموا سَلَوتُكَ... لَيْتَهُمْ

نَسَبوا إليّ المُمكنا

فالمرءُ قد ينسى المُسيءَ

المفتري، والمُحسنا

والخمرَ، والحسناءَ، والوترَ

المرنّحَ، والغِنَا

ومرارةَ الفَقْرِ المُذِل

بلى، ولذّاتِ الغِنى

لكنَّهُ مهما سلا

هيهاتِ يسلو الموطنا

ثمانون وردة لعينيها ولمزهريتها فيروزتنا..عربون محبة وتقدير.

كاتب فلسطيني

سمير حاجّ



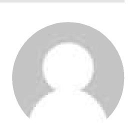





Abdal. عراق نوفمبر 27, 2015 الساعة 1:15 ص

امس حزنت وانا اقرء لأحدهم وهو ينثر سفاسف عنها ،،وقلت لم يهبط الغناء الا بعد انتشار مثل هؤلاء مدعي الكتابه. اليوم انت ارجعت مشكورا لي بعض احساس ان الذوق الجميل. لم ينته ما دام امثالك موجودون. ،على الشعر ان يهدي لفيروز ورده. مني لك ورده

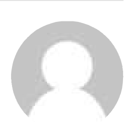
رد



فاطمة سلام نوفمبر 27, 2015 الساعة 3:20 ص

لماذا نسي صاحب المقال اسم شاعر فيروز (جوزف حرب) الذي غنت له ما يقرب من خمسة عشر قصيدة .

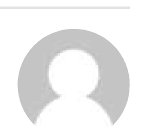
رد



سمير حاجّ نوفمبر 27, 2015 الساعة 1:11 م

جلّ من لا يسهو ،وشاعر "المحبرة" الكبير جوزيف حرب حبّر وزركش روائع كثيرة لكنارة صنين ،أهمّها " أسامينا" و "إسوارة العروس" و "لبيروت" و "خليك بالبيت" ،و "رح نبقى سوا" و "فيكن تنسو" و "ورقو الأصفر" و "بليل وشتي" و "تذكر يا حبيبي" و"البواب"و "هللو هللوليا" و "حبيتك تنسيت النوم" و "زعلي طول أنا وإياك " و "طلعلي البكي" و"لما عالباب" و "روح زورهن ببيتهن" و "يا ريت منهن " ...والشّعراء المذكورة أسماؤهم في المقال هم غيض من فيض ..وهذا دليل على أنّ فيروز حملت أصوات شعراء كثيرين إلى وطن النجوم ..لا يمكن الإحاطة بأسماء الجميع.. معذرةّ ممن لم تذكر أسماؤهم .والجواب في أغنية (أسامينا) .
سمير حاجّ

رد



محمد البنا نوفمبر 27, 2015 الساعة 3:02 م

من اصول فلسطينية مسيحية.

رد

اشترك في قائمتنا البريدية

أدخل البريد الالكتروني * اشترك

حولنا / About us
أعلن معنا / Advertise with us
أرشيف النسخة المطبوعة

أرشيف PDF

النسخة المطبوعة
سياسة
صحافة
مقالات
تحقيقات
ثقافة
منوعات
لايف ستايل
اقتصاد
رياضة
وسائط
الأسبوعي


adberries